سانت كاترين

ظللت حوالى ثلاثة أعوام (١٩٩٩-٢٠٠٠-٢٠٠١) أذهب إلى سانت كاترين مرة كل شهر، مع أفواج سياحية فرنسية، لتنفيذ برنامج سياحى كان يبدأ بوصول السياح إلى الإسكندرية مساء السبت على طائرة لوفتهانزا الألمانية، ثم نقوم بزيارة آثار الإسكندرية يوم الأحد، ثم نغادر الإسكندرية صباح الاثنين مخترقين الدلتا من الغرب إلى الشرق، لنصل إلى موقع آثار (تانيس)، ثم نستأنف الطريق لنقضى الليلة فى الإسماعيلية، وصباح اليوم التالى الثلاثاء نعبر قناة السويس، لنتوقف قليلا عند عيون موسى وحمام فرعون وأديرة وادى فيران، ثم نصل إلى سانت كاترين بعد ظهر ذلك اليوم.

كنت أحيانًا عندما نصل إلى سانت كاترين قبل الثالثة ظهرًا، أذهب إلى الدير قبل أن يغلق أبوابه أمام الزائرين، وأذهب إلى الكنيسة الصغيرة لحضور صلوات الرهبان، وهم أغلبية يونانية، ثم قد أستطيع أن أحصل على مكان لقضاء الليل فى عنابر الدير، وهكذا أستطيع أن أنتهز الفرصة لمقابلة بعض الحجاج الذين يأتون من أماكن مختلفة فى شرق حوض البحر المتوسط، خاصة من اليونان ومن قبرص. أما إذا لم أتمكن من الحصول على مكان للنوم، فإنى كنت أضطر إلى الخروج من الدير والمشى حوالى ثلاثة كيلومترات حتى أصل إلى حجرتى فى فندق وادى الراحة، حيث يبيت سيّاحى.

كانت زيارة سانت كاترين مع السياح الفرنسيين تنقسم إلى زيارتين، الأولى مسائية لمن كان من السياح فى حالة صحية جيدة جدًا تسمح له بصعود الجبل أثناء الليل، وفى تلك الحالة كنا نذهب إلى

الفراش الثامنة مساءً، حتى نستيقظ الثانية صباحًا، ونبدأ فى صعود الجبل، ونصل إلى قمته حوالى السادسة صباحًا حيث نستمتع بمنظر شروق الشمس على قمم جبال سيناء. تقع قمة جبل سانت كاترين على ارتفاع ألف متر من الدير، أو حوالى ألفىْ متر من سطح البحر، ويفهم من ذلك أن الدير يقع على ارتفاع ألف متر من سطح البحر. وكنت إذا صعدت مع السياح الفرنسيين أستأجر أحد البدو المقيمين فى المكان، ليقودنا إلى أعلى الجبل، أو على الأقل ليكون هو فى مقدمة الركب وأكون أنا فى مؤخرته. وغالبًا ما تكون درجة الحرارة عند قمة الجبل مساءً تحت الصفر، حتى لو كنا فى شهور الصيف، وذلك بسبب ارتفاع القمة بتلك المسافة عن سطح البحر، ولذلك تلزم ملابس ثقيلة لمواجهة هذه البرودة، وعادة ما كنت عند القمة أنشغل بتدفئة قدميّ فى مقهى جيد الغلق، فى حين ينشغل سياحى بأداء بعض الصلوات الجماعية مع غيرهم من سياح العالم، وذلك رغم انتماءاتهم الدينية المختلفة، فالمكان مقدس لكل الديانات التى تعترف بالنبى موسى، وذلك لأنه المكان الذى تسلم فيه سيدنا موسى الألواح المقدسة من الله.

كل هذا كان جميلا جدًا، إلا أن الشئ السخيف فعلا هو الزيارة الصباحية، زيارة داخل الدير فى الفترة الصباحية المخصصة للمجموعات السياحية من الساعة التاسعة صباحًا إلى الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وسبب السخافة هو وجود أعداد هائلة من البشر تقف طوابير طويلة أمام باب واحد فقط صغير جدًا، وفوق البيعة فهذا الباب مخصص لغرضين اثنين فى نفس الوقت، الدخول والخروج، وهو ما يخلق حالة من الفوضى والتدافع والتزاحم، وسقوط الأطفال وكبار السن تحت الأقدام، كما لو كنا فى معركة تفقد المكان كل قدسيته، وذلك رغم وجود عدد كبير من رجال الشرطة لتنظيم المسألة. كان ينبغى أن يخصص باب آخر للخروج.

ثم كانت المشكلة الأخرى هى إصرار كل المرشدين السياحيين على التحدث إلى مجموعاتهم بكل تفاصيل المكان، وبكل تفاصيل تاريخ المكان، داخل المكان نفسه وبصوت مرتفع جدًا، مما يجعل الطوابير تنتظر بعض الأحيان لمدة ساعة بدون حركة، كما أن ضيق المكان الشديد كان يجعل الضوضاء مستحيلة. كان ينبغى على المرشدين إلقاء تعليقاتهم خارج المكان، وتوزيع خرائط صغيرة بخط السير داخل الدير، وهكذا يمكن للجميع الدخول فى طابور واحد متصل متحرك ببطء وبدون توقف وفى صمت تام.

ستيفن إيدج Stevenage

(١)

هى مدينة إنجليزية صغيرة، تقع فى الطريق بين لندن وكامبردج، حوالى ٦٠كم شمال لندن، كان تعدادها ٦٠ ألف نسمة عندما أقمت فيها أربعة أشهر فى صيف سنة ١٩٧٤.

كنت قد وصلت من القاهرة إلى لندن بطائرة الخطوط الجوية البريطانية، إلى مطار هيثرو غرب لندن، يوم الجمعة ٥ يوليو، وكان قد استقبلنى فى المطار أحد أبناء عمومة أبى، رجل فى الخمسين من العمر، كان قد تعرف على زوجته الإنجليزية فى مصر منذ حوالى عشرين عامًا عندما كانت تعمل فى الإرسالية الأمريكية بأسيوط، ثم سافرا معًا عائدين إلى إنجلترا فى أوائل السبعينيات ومعهما أولادهما، صبى وثلاث بنات.

أمضيت فى بيت ذلك الرجل، الأستاذ زكريا، أيامى الأولى فى إنجلترا. استيقظت صباح اليوم التالى السبت على أجراس سيارة توزيع زجاجات اللبن على البيوت، وبقينا طوال النهار فى حديقة المنزل فى مدينته الصغيرة لتشويرث، ثم ذهبنا مساءً إلى كنيسة المدينة، حيث اشتركت معهم فى الغناء فى الكورال. أما يوم الأحد فقد ذهبنا صباحًا إلى حقول الفراولة، وذلك للمشاركة فى جنى الثمار، مع أكل ما تستطيع معدة كل منا هضمه أثناء الجنى. وعند العودة بالسيارة مررنا بمدينة كامبردج، حيث توقفنا قليلا لنشاهد أبراج الكنائس القديمة، وكذلك مبانى الجامعة العتيقة التى يعود بعضها إلى القرن الخامس عشر.

وعندما مررنا بحقول القمح والشوفان، كان مرور الرياح فوق تلك المحاصيل يؤدى إلى توالد موجات تشبه موج البحر، ويسمى الإنجليز هذه الظاهرة بالأرانب البرية، وذلك حيث إن مرور تلك الأرانب البرية بهذه الحقول، هو أيضًا يؤدى إلى توالد موجات شبيهة، ويخلق نفس التأثير الجمالى.

ذهبت مع عم زكريا صباح الاثنين إلى مدينة ستيفن إيدج، وذلك فى سيارة نقل عام، حيث إنه كان يفضل استعمال سيارته فقط فى أجازات نهاية الأسبوع، حيث إن المواصلات العامة نظيفة جدًا ومنتظمة. ذهبت معه إلى مقر عمله التاسعة صباحًا، فى شركة التأمين مانيولايف، وتواعدنا على اللقاء فى نفس المكان، أمام بوابة الشركة الثانية عشرة ظهرًا، وذلك لتناول وجبة طعام الغداء سويًا. وهكذا وجدت نفسى وحدى تمامًا فى قلب مدينة إنجليزية صغيرة، لأول مرة فى حياتى فى بلد أجنبية، أنا الذى لم أكن قد غادرت طنطا إلى القاهرة إلا صباح أول أمس.

ذهبت إلى ميدان وسط المدينة، والذى كان تقريبًا خاليًا من البشر، وذلك لأن يوم الاثنين هو أول أيام أسبوع العمل، والعمل هنا مقدس، شعرت لحظة بالضياع، وتساءلت أين أذهب، فأنا لم أكن معتادًا على الاستقلالية إطلاقًا فى حياتى السابقة، فمنذ طفولتى وخلال فترة مراهقتى، كنت فى أغلب الأحوال تابعًا مطيعًا هادئًا.

كانت رحلة إنجلترا فى ذلك الصيف هى أولى علامات بداية الصحوة النفسية، أولى خطوات رحلة الألف ميل فى تكوين شخصية مستقلة، خطوة جاءت متأخرة قليلا، ولكن الحمد لله أنها على أى الأحوال كانت قد جاءت. نظرت حولى فوجدت شابًا وفتاة فى وضع غرامى فى حديقة مجاورة، فحولت عينى عنهما فورًا.

لمحت عبر الشارع اسم محل (مكة بولنج Mecca Bowling)،

وهى لعبة منتشرة هناك، اعتقدت أن اختيار اسم المحل به شبهة سخرية، ولكنى عرفت فيما بعد أن المقصود هو أن هذا المكان هو الذى يأتى إليه كل الناس من أطراف إنجلترا، لممارسة لعبة البولنج.

أول ما فكرت فيه كإنسان معقد ومكبوت جنسيًا، هو البحث عن مكتبة أو عن بائع جرائد، وذلك لشراء مجلة جنسية، وفعلا ذهبت إلى المكتبة وعدت بالمجلة إلى نفس المقعد الذى كنت أشغله، وكان يومًا مشمسًا جميلا، واستمتعت بصور المجلة بعض الوقت، ولكن عندما حان وقت ميعادى مع عم زكريا، لم أجرؤ على الذهاب إليه ومعى هذه المجلة، فمزقتها وألقيت بها فى صفيحة الزبالة، رغم أن قلبى كان يتحسر عليها (وذلك رغم تربيتى الدينية وأخلاقى القويمة).

كان معى مائة جنيه استرلينى، وكان المسموح به للطالب فى ذلك الوقت، هو تحويل خمسين جنيهًا استرلينيًا بسعر البنك (١٤٠ قرشًا للجنيه الاسترلينى – يا خسارة) على الباسبور، وكنت قد حصلت على خمسين جنيهًا أخرى من السوق السوداء.

دخلت محلاً للملابس اشتريت منه قميصًا خفيفًا بكاروهات، وكذلك بنطلون جينز أسود، وحذاء بوت أسود، وكان إجمالى ثمن هذه الملابس الإنجليزية هو سبعة جنيهات فقط لاغير، ثم دخلت محلاً آخر وهو فرع لشركة ماركس آند سبنسر، حيث اشتريت بلوفر بمبلغ ثلاثة جنيهات استرلينية، وكانت الأسعار كما ترون ما تزال رخيصة جدًا، رغم ما كنا قد سمعناه قبل السفر عن ارتفاع الأسعار فى أوروبا كلها ذلك العام، بسبب أزمة البترول أثناء حرب ١٩٧٣.

(٢)

حسب الميعاد كنت مع الأستاذ زكريا فى مطعم صغير تابع لمبنى الشركة التى يعمل بها، وأثناء الغداء قال لى أن زوجته كانت قد وجدت إعلانًا فى الجرائد المحلية، عن طلب عمال يدويين فى مخبز صن بلست الآلى، وهو على أطراف المدينة، وأنها قد حصلت لى على ميعاد مع مستر (فارو) المدير، الساعة الثالثة بعد الظهر، ثم إن لدينا كذلك ميعادًا مع مديرة أحد بيوت الضيافة للشباب Y.M.C.A، الساعة الخامسة والنصف مساءً.

ذهبت أولا إلى ميعادى مع مستر فارو، وذلك بالاستعانة بخريطة للمدينة اشتريتها من الميدان، وكنت قد قررت أن أذهب إلى المخبز الآلى مشيًا، ولكنى فى واقع الأمر كنت قد أخطأت تقدير المسافة التى اكتشفت أنها حوالى ٧كم.

كان المستر فارو لطيفًا جدًا عندما استقبلنى، وذلك عندما علم فقط بأننى مصرى الجنسية، وذلك حيث إنه يحب مصر جدًا، وكان ما يزال يتذكر كيف أنه منذ حوالى ثلاثين عامًا، كان أثناء الحرب العالمية الثانية قد حضر إلى مصر ضمن قوات الاحتلال البريطانى، وذلك أثناء تأدية خدمته العسكرية، كان قد أخذ قطارًا حربيًا بين الإسكندرية والقاهرة، توقف فى بعض محطات المدن الرئيسية، وقد انبهر تمامًا بمناظر الريف المصرى، وبالأخلاق الحميدة للشعب المصرى. ثم إن مستر فارو قال لى بعد ذلك أن ألذ زجاجة بيرة شربها فى حياته، هى زجاجة البيرة (ستلا) المصرية. وهكذا كان الفضل لهذه الستلا فى حصولى على وظيفة بهذا المخبز.

عملت فى هذا المكان حوالى أربعة أشهر، أولا فى قسم النظافة حيث كان مطلوبًا منى جمع الخبز المتساقط على الأرض، وكان

المرتب ٢٥جنيهًا استرلينيًا فى الأسبوع، ثانيًا فى قسم التغليف حيث كنت أقف أمام سيور يمر عليها الخبز ليدخل بعد ذلك فى ماكينات التغليف، وكانت طبيعة عملى تتلخص فى تحويل الخبز من السيور التى يتراكم عليها، إلى سيور أخرى خالية، وكان المرتب ٣٠ جنيهًا استرلينيًا، ثالثًا عندما اكتشفت أن ورديات الليل فيها إضافة ٢٥٪، بدأت أعمل ليلا وارتفع مرتبى إلى ٤٠ جنيهًا استرلينيًا، رابعًا ثم أخيرًا عندما عرفت أن العمل يومىْ السبت والأحد يضيف نسبة مئوية أخرى إلى المرتب، ارتفع مرتبى إلى ٥٠ جنيهًا استرلينيًا. ومع هذه الارتفاعات المتتالية فى مرتبى، تمكنت من البقاء فى إنجلترا حتى آخر أكتوبر، وتمكنت كذلك من ادخار مبلغ ٤٠٠ جنيه استرلينى، فقررت مع بعض المساعدة العائلية، الذهاب إلى باريس لشراء سيارة فولكس، شحنتها على مركب من ميناء جنوا الإيطالى، عائدًا بها إلى الإسكندرية.

أقمت خلال هذه الشهور الأربعة فى نزل الشباب Y.M.C.A، وكان يشغل بيتًا من ثلاثة طوابق تحيط به حديقة كبيرة، كان الطابق الأرضى يتكون من مطعم، وصالة رقص واحتفالات، وصالة بها موائد (البينج بونج)، وصالة أخرى بها مكتبة وآلات بيانو، أما الطوابق العلوية فكانت تشغلها عنابر النوم.

وجدت فى عنبر نومى شبابًا من جنسيات مختلفة، من الهند، ومن الصين، ومن الولايات المتحدة الأمريكية. وكان الشاب الهندى أفضلنا ظروفًا، وذلك حيث إن شباب البلاد التابعة للكومونولث كانت لهم الأولوية فى كل شئ، فى السكن وكذلك فى الوظائف. كانت الإقامة بالإضافة إلى وجبة مسائية محترمة (طبق أول من الحساء – طبق ثان من الخضراوات مع اللحوم والبطاطس البوريه – طبق ثالث من الحلويات أو الفاكهة – زجاجة لبن مبستر لتر) تكلف تسعة جنيهات

استرلينية فى الأسبوع (يا بلاش).

كنت أشغل وقت فراغى بعد العمل، خلال أيام الأسبوع، بالتجول فى المناطق الريفية المحيطة بالمدينة، وكان غروب الشمس فى شهر يولية فى الساعة العاشرة والنصف مساءً، وكنت قد تعرفت على (آلاستر) الأيرلندى، وكان فى العشرين من عمره مثلى، فكنا نذهب سويًا على دراجته وعلى دراجة أخرى كان يستعيرها لى من أحد أصدقائه نزلاء الدار، فى جولات حرة فى الريف الإنجليزى، وكنا نقطع أحيانًا حتى ثلاثين كيلو مترًا فى المرة الواحدة. كان يأخذ سنابل القمح من بعض الحقول، ويفركها فى يده، ويقترب من المناطق الموجود بها خيول برية، وهى التى ترعى وحدها كقطعان، ويمد يده لها بهذا القمح، فتقترب منا الخيول وتمد رءوسها لتلتقط من يده هذا القمح، وكان يبدو لى أن تلك الخيول تعرفه (أندم الآن على أننى لم أكن قد عرفت بعد قيمة استعمال التصوير الفوتوغرافى فى تسجيل الذكريات). ثم إننا كنا غالبًا نتوقف أمام بعض المبانى القديمة أو القصور المهجورة، والتى يبلغ عمر بعضها بضعة قرون، وذلك لنتأمل واجهاتها، ثم ليحكى لى (آلاستر) أحيانًا كيف أن الشائعات تقول أن بعض تلك القصور مسكون بالأشباح والعفاريت، وأتذكر أننى رأيت معه مرة كتابًا بعنوان (دليل الزائر إلى الأماكن المسكونة بالأشباح فى بريطانيا Visitor's guide to haunted places in Britain)، فهم يعتقدون جادين فى وجود العفاريت. ثم نذهب بعد ذلك إلى مقهى لنشرب عصير التفاح المتخمر (سايدر Cydre)، ولنمارس لعبة قذف الأسهم الصغيرة على لوحة دائرية معلقة على الحائط (Darting).

(٣)

كان ذلك سنة ١٩٧٤، ولم أعد إلى بريطانيا إلا بعد ذلك بثلاثين عامًا، أى سنة ٢٠٠٤. كنت قد أخذت القطار (Eurostar) من باريس إلى لندن، ومن محطة واترلو إلى محطة فيكتوريا بالأندر جراوند (المترو)، وأقمت فى فندق متواضع نجمة واحدة، وصباح اليوم التالى أخذت المترو من فيكتوريا إلى كينجز كروس، ثم القطار إلى ستيفن إيدج، عائدًا إليها بعد ثلاثين عامًا من مغادرتى لها. كنت ملهوفًا بشدة تتلاحق أنفاسى، وتدمع عيناى، وذلك عندما قرأت اليافطة التى تحمل اسم المدينة فى محطة قطاراتها، خرجت من القطار لأعبر الكوبرى نفسه الذى ينقلنى مباشرة إلى ميدان وسط المدينة، ذلك الذى كنت قد جلست فيه فى أول يوم لى فى هذه المدينة منذ ثلاثين عامًا. نفس المحلات، نفس الممرات وسط المنطقة التجارية، نفس الساعة وسط الميدان.

الصدمة الأولى: لمحت من بعد مبنى شركة التأمين التى كان يعمل فيها عم زكريا مهجورًا تمامًا، بنوافذ محطمة، وطلاء حائط متساقط. كنت فى طريقى إلى متحف المدينة، فسألت موظفة شباك التذاكر عن شركة التأمين، فقالت أنها قد أغلقت أبوابها والمبنى كما ترى أصبح مهجورًا. وجدت فى المتحف كتالوجًا به صور للمدينة عبر تاريخها القصير، منذ إنشائها فى أوائل القرن.

الصدمة الثانية: أخذت سيارة نقل عام من موقف سيارات وسط المدينة، وشرحت للسائق رغبتى فى الذهاب إلىY.M.C.A، فقال أنه لا يعرف عنوان هذا المكان، تذكرت العنوان وذكرته له، فقال أنه يمر فى طريقه بهذا المكان، وتعرفت على المكان قبل الوصول إليه بفضل أسماء الشوارع التى كنت ما أزال أتذكرها، Vardon – Pin-green road، نزلت فى المحطة قائلا للسائق أن هذه هى أول مرة أعود إلى

المكان بعد غياب ثلاثين عامًا، قال: (كم)، قلت: (ثلاثين)، قال: (لم أكن قد ولدت بعد)، توقفت لحظة لأنظر إلى طوله وعرضه وأقول في نفسي (عندما كنت هنا لآخر مرة كان هذا الكائن البشرى ما يزال في علم الغيب)، فى تلك اللحظة أدركت حجم العمر الذى مر.

ومما زاد الطين بلة، هو أننى لم أعثر على أى أثر لمبنى نزل الشباب! حيث إن أحدًا من الأشخاص الخمسة الذين سألتهم عن المكان لم يستطع أن يدلنى عليه، ونصحنى أحدهم بسؤال مكتب البلدية الموجود بالحى، حيث قالت الموظفة أنها تخشى أن يكون المكان قد أزيل من الوجود أثناء التوسعات والتجديدات فى المدينة خلال فترة الثمانينيات.

الصدمة الثالثة: قررت أن أنسى موضوع نزل الشباب، وأذهب على الأقدام إلى المخبز الآلى، ذلك المشوار الذى كنت أقطعه يوميًا على الأقدام ذهابًا وعودة لمدة أربعة أشهر، مشيت في اتجاهات مختلفة ولم أصل إلى أى شئ، شعرت بإحباط فظيع، قررت أن أنسى كل شئ حيث إننى كنت مرهقًا جدًا فأنا لم أعد في العشرين من عمرى وإنما فى الخمسين، قررت العودة إلى وسط المدينة، والعودة بالقطار إلى لندن، عسى ألا يكون هناك المزيد من الصدمات هذا اليوم (عايزنا نرجع زى زمان، قول للزمان ارجع يا زمان).

ميدان سفنكس

فى واحدة من العمارات المطلة على هذا الميدان فى قلب حى المهندسين بالقاهرة، وفى الطابق العشرين منها، كان يوجد فى الثمانينيات ملهى ليلى. وكان هذا شيئًا غريبًا جدًا، وجود ملهى ليلى فى عمارة سكنية. صحيح أن أصحاب هذا الملهى الليلى كانوا قد حلوا المشكلة جزئيًا، وذلك بأن كان لهم مصعدهم الخاص بهم، من الطابق الأرضى إلى الطابق العشرين؛ ليستعمله زبائن الملهى فى الصعود إليه (هؤلاء الزبائن الذين كان يصل عددهم أحيانًا خاصةً مساء الخميس إلى بضع مئات). إلا أن المصعد بالإضافة إلى زبائن الملهى، كان مخصصًا كذلك لصعود وهبوط الفرق الموسيقية، والآلات الموسيقية، والنوبتجية حملة الآلات الموسيقية، ثم بعد ذلك كله لصعود وهبوط السادة الفنانين .

لم أستطع أبدًا تخيل وضع العمارة قبل تركيب المصعد المخصص للملهى الليلى، فأنا عندما عملت بهذا الملهى الليلى لمدة أسبوعين فقط لا غير، خلال شهر ديسمبر من العام ١٩٨٣، كانت هناك مشكلة حادة جدًا، هى مشكلة صعود وهبوط هذه المئات. فكان يحدث أحيانًا أن يصل النجم الفنان قبل موعد فقرته الفنية بربع ساعة، وذلك حيث إن الفنانين عادة يعملون فى عدة ملاهٍ ليلية فى الليلة الواحدة، يتنقلون بينها وبين العديد من الفنادق، وذلك للظهور فى برامج هذه الفنادق والملاهى الليلية كلها بغرض توسيع رقعة الشعبية، وكذلك بغرض تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب المادية، وكلها كما ترون أهدافٌ مشروعة. إلا أن المشكلة هى أن هذا الفنان النجم كان يصعد طبعًا وحده أولا، وعادة لم يكن لديه مانع من أن يشغل المصعد معه عدد

من الزبائن، ثم يصعد بعده فى المرة التالية أهم عازفيه، أو أولئك الذين يعزفون معه مقطوعات منفردة أثناء فقرته الفنية، ثم فى المرة الثالثة كان هناك فريق الطبالين على آلات الإيقاع المختلفة (الدف – الدربكة – الطبلة – الصنج – إلخ.....)، أما فى المرة الرابعة فلم يكن هناك داع للصعود، فقد انتهت الفقرة!

وحيث إن موقع هذا النادى الليلى حصين جدًا، وذلك حيث إنه لا يمكن على الإطلاق مداهمته بقوة بوليس كما يحدث عادة فى شارع الهرم، حين تقف سيارة بوكس وينزل منها عدد من أمناء الشرطة والعساكر مع ضابط أو اثنين، لعمل ضبطية تتعلق بممارسة دعارة، أو تهريب مخدرات، أو وجود فنانة (مغنية أو راقصة) قاصر (أى دون السن القانونية)، وذلك بفضل أن مصعد الملهى الليلى لم يكن يسع إلا أربعة أشخاص، وكان من السهل جدًا وجود تليفون عند مدخل العمارة يسمح بإبلاغ الملهى الليلى بوجود أى بوليس، مما كان يسهل عملية تهريب أى نوع من أنواع المخالفات على السلالم (أقر بأنى شاهدت فتيات قاصرات يرقصن فى ذلك المكان بملابس خليعة).

ثم إنى أتساءل: كيف كان يعيش سكان الطابق التاسع عشر، خاصة تلك الشقق التى كانت تقع أسفل مسرح الملهى الليلى ؟ كيف كانوا يعيشون حياتهم مع هذه الضوضاء المهولة ؟ وكم كان يلذ لى أحيانًا الوقوف عند مدخل العمارة خاصة مساء الخميس، حين يزدحم رواد الملهى الليلى عند مدخل العمارة، وفجأة يختلط الحابل بالنابل حين تصل سيارة إسعاف لنقل مصاب أو مريض إلى المستشفى الخاص الذى كان يشغل الطابقين الثانى والثالث من نفس العمارة! فيجد أهل المرضى أنفسهم أحيانًا فى الطابق العشرين، أو يجد زبائن الملهى الليلى أنفسهم أحيانًا فى المستشفى.

سوسة

(١)

غادرت فندق (أميلكار) فى ضاحية قرطاج شمال مدينة تونس، حوالى الساعة الثامنة صباحًا، وذلك لآخذ قطار الضواحى حتى نهايته فى محطة تونس البحرية، وهى مسافة حوالى عشرين كيلو مترًا، يتوقف فيه القطار عشر مرات فى عشر محطات مختلفة، وتستغرق الرحلة حوالى نصف الساعة، وهكذا وجدت نفسى فى قلب مدينة تونس التى كنت قد وصلت إليها منذ بضعة أيام، بدعوة من المكتب البيداجوجى التابع لسفارة فرنسا. من هناك ذهبت بتاكسى إلى (باب عليوة) الذى يقع فى نهاية شارع (منصف بك)، وعندما عرف السائق أننى مصرى تحدث معى عن أم كلثوم وعبد الوهاب. ومن باب عليوة تقوم سيارات الأجرة إلى كل مدن تونس (القيروان – صفاقس – المناستير – الحمامات – سوسة)، هذا الموقف شبيه بتلك المواقف التى لدينا فى المدن المصرية، ولكنى لاحظت هنا أن النظام أفضل، وأن الضوضاء أقل.

بمجرد أن ركبت السيارة الأجرة ويسميها التونسة (لوواج) وهى كلمة فرنسية بمعنى أجرة، تحركت السيارة البيجو السبعة راكب تمامًا مثل تلك التى نستعملها فى مصر لنفس الغرض. سألنى السائق: (معك صرف). وعندما لم أرد وذلك لأنى لم أفهم ما هو المقصود بما قاله، قال له أحد الركاب الآخرين: (حدثه بالفرنسية). قلت: (لأ بالعربية، ولكنى لا أفهم ما هو المطلوب). قال السائق: (معك فلوس). قلت: (نعم، كم). قال: (سبعة دينار) مع ملاحظة أن الدينار التونسى

يساوى خمسة جنيهات مصرية. دفعت قائلا: إننى مصرى وأفضل أن أتحدث بالعربية الفصحى وذلك لأنكم تعرفون العامية المصرية وتفهمونها ولكنكم عندما تردون تستعملون العامية التونسية وأنا لا أفهمها.

سكتنا جميعًا. وضع السائق شريط كاسيت فى جهاز كاسيت السيارة، وإذا به المغنى المصرى (محمد رشدى) فى ألبوم أغانى الستينيات والتى كان قد أعاد توزيعها فى موسم ٢٠٠٤ (تحت الشجر يا وهيبة ياما كلنا برتقان – وعدوية أهه ضحكتها نهار – ورمشك خطفنى من أصحابى وأنا واد صياد). ثم عندما أوقف السائق شريط الكاسيت، وحرك مؤشر الراديو إلى واحدة من المحطات المحلية، كانت أغنية لعمرو دياب! إذن فإن الحضور الفنى المصرى مازال واضحًا فى تونس. ثم بعد ذلك كان هناك برنامج عن كيفية الوقاية من نزلات البرد، وكانت المذيعة التونسية تستعمل كلمة عربية، ثم بعد ذلك مباشرة تستعمل كلمة فرنسية، وذلك يحدث فى خلطة غريبة جدًا، فتقول مثلا (إذا أصابتك) ثم تقول (لارينجو فارينجيت) ومعناها بالفرنسية نزلة برد، ثم تقول (يجب عليك استعمال) ثم تقول (أنتى بيوتك) بدلا من مضاد حيوى! وهذا دليل أكيد على بقاء نفوذ اللغة الفرنسية واضحًا فى الثقافة التونسية.

المسافة بين تونس وسوسة حوالى ١٤٠ كيلو مترًا، تقطعها السيارة بسرعة متوسطة حوالى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة، على طريق حديث جدًا قريب الشبه من الطرق الموجودة فى أوروبا، أى طريق (أوتوروت)، وهو الطريق الذى يمتد مسافة مئات الكيلومترات دون أى تقاطعات على الإطلاق، وإنما هناك كبارى تنزل بك إلى اليمين، أو إلى اليسار أعلى الطريق أو أسفله، كما أنه ليست هناك أية سيارات أو حيوانات تخرج فجأة من أى طرق جانبية كما يحدث عادة

عندنا فى مصر، وذلك لأن هذه الأوتوروت إما أنهـا مرتفعـة عـن الأرض المحيطة بها، أو أن هناك حواجز تسير مئات الكيلـومترات معها بامتدادها. كما أنه ليس هناك أى بهائم أو بشر يعبرون الطريق هكذا فى أى مكان وأى زمان كيفما اتفق، كما يحدث عادة عندنا فـى مصر. وهذا دليل أكيد على أن تونس أكثر تقدمًا من مصر.

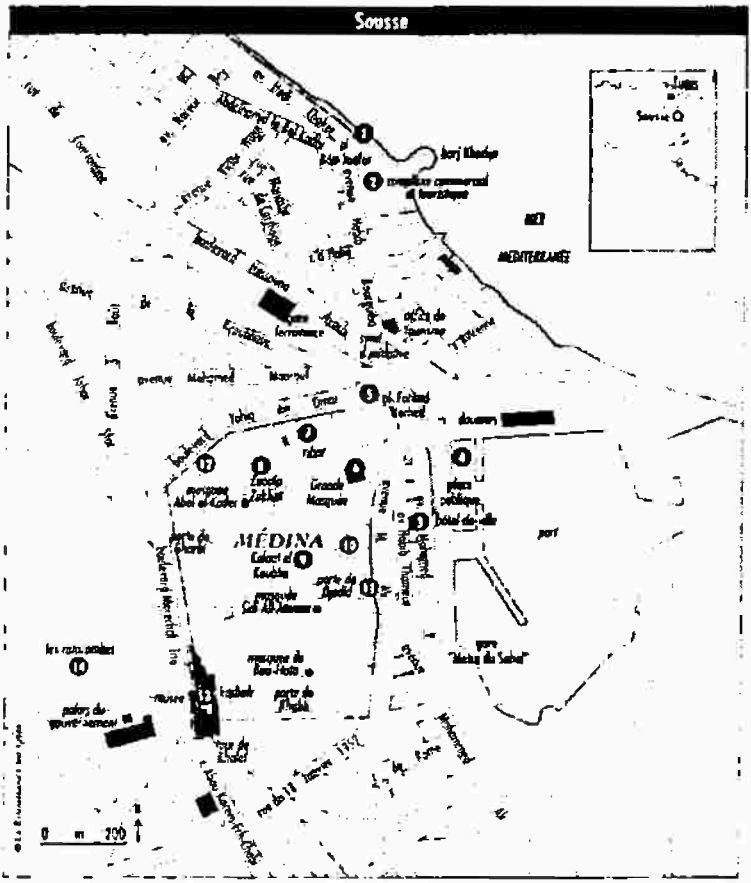

(٢)

إن من الأشياء الملفتة للانتباه جدًا فى تونس، قدرتهم على الاحتفاظ بطراز معمارى واضح تمامًا فى كل مبانيهم، وهذا دليل أكيد على الأصالة، فكل منازلهم فى المدن والقرى لونها أبيض، ونوافذ المنازل لونها أزرق، والعناصر الزخرفية كلها بالقيشانى الأزرق والأخضر، شئ رائع الجمال. ثم إننا عندما كنا على ذلك الطريق السريع، مررنا بعدد من المدن الصغيرة، حيث كانت كل منازل المدن تلك من طابقين اثنين لا أكثر، ولا يرتفع عن مستوى هذه المنازل إلا مآذن المساجد ذات الطراز الخاص بالمغرب العربى كله، وهى ذات أبدان مربعة المقطع، وتعلوها قمم هرمية أو مخروطية. أما مبانى أغلب مدننا المصرية فهى (عك) لم أجد له أى مثيل فى أى مكان فى العالم. إلا أن الطبيعة قد ساعدت تونس على البقاء نظيفة وخضراء، وذلك لأن بها أعلى معدل سقوط أمطار فى الوطن العربى كله، خاصة مناطقها الساحلية الشمالية والشمالية الشرقية، إلا أننا بذهابنا إلى الجنوب تقل المناطق الخضراء بالتدريج، وتزداد المناطق الصحراوية الجرداء، وذلك حتى نصل إلى جنوب تونس والذى يقع فى قلب الصحراء الجزائرية الكبرى.

وصلنا سوسة الثانية عشرة ظهرًا، فأخذت تاكسى من المدينة إلى المحطة وذلك لحجز تذكرة فى قطار العودة الساعة الرابعة مساءً، وهو ما يترك لى أربع ساعات لاكتشاف المدينة، وهى مدة كافية جدًا لقطع المدينة سيرًا على الأقدام من أحد طرفيها إلى طرفها الآخر. عند خروجى من المحطة اشتريت خريطة صغيرة للمدينة، وألقيت نظرة عليها لأكتشف موقع المدينة القديمة (القصبة – الرباط)، فاكتشف أنها قريبة جدًا من المحطة، فذهبت إليها سيرًا على الأقدام ووصلت إليها فى أقل من ربع ساعة. شئ رائع الجمال، المدينة

القديمة كلها، بأسوارها وأبراجها وشوارعها ومساجدها وأغلب مبانيها القديمة، ما زالت موجودة كما هى منذ مئات السنين، فى حالة حفظ جيدة جدًا. تشغل تلك المدينة القديمة مساحة مربعة طول ضلعها حوالى ٢٥٠ مترًا، أى أن مساحتها الكلية حوالى ٦٠٠٠٠ متر مربع، وهى تقع فى قلب المدينة الحديثة على ساحل البحر المتوسط، أما الامتداد العمرانى للمدينة، الفنادق والمجمعات السكنية الحديثة، فيقع خارج المدينة بمحاذاة الشاطئ على امتداد عدة كيلو مترات.

بعد ذلك مشيت من ميدان فرحات حشاد (اسم أحد المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسى) إلى شارع الحبيب بورقيبة (رئيس جمهورية تونس السابق)، حيث وجدت دار عرض سينمائى بها فيلم محمد هنيدى (صعيدى فى الجامعة الأمريكية)، وفى دار عرض مقابل وجدت فيلم يوسف شاهين (إسكندرية نيويورك). وعندما لمحت أكواب بيرة فى أيدى زبائن مقهى مررت أمامه، دخلت وجلست وطلبت واحد بيرة، فانحنى علىّ النادل قائلا بالفرنسية (هى كما تعرف بدون كحول)، ولشدة عطشى وكذلك بسبب حرارة الجو بقيت جالسًا وشربت واحدة. الوضع هنا فيما يتعلق بالمشروبات الكحولية شبيه بما يحدث فى مصر، إذ يصعب جدًا على المقاهى والمطاعم الحصول على ترخيص بيع مشروبات كحولية، وقد يكون هذا هو أحد آثار المد الإسلامى الحالى فى كل البلاد العربية تقريبًا وبدون استثناء. (ما زلت أتذكر أنه كان من الممكن حتى نهاية السبعينيات، شراء زجاجات البيرة ستلا بسهولة شديدة من أى محل بقالة، فى أصغر مدينة مصرية بدون أى مشاكل).

شرم الشيخ

لم أجد رغبة فى القراءة، وهو ما لم أكن أفعل غيره خلال الأيام الأخيرة، فتوجهت للنزهة على الشاطئ، وفوجئت بعدد من الفتيات الأجنبيات يجلسن عاريات الصدور!! وجدت فى نفسى بعض الشجاعة للجلوس بالقرب منهن!! وبعد قيامهن وجدت فى نفسى المزيد من الشجاعة للصعود خلفهن إلى الجبل، ذلك الجبل الذى تشغل هضبته حاليًا (٢٠٠٥) عدة قرى سياحية، كان فى ذلك الوقت (١٩٨٥) يفصل بين فندق مارينا شرم ومعسكر القوات المتعددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة. عندما هبطت إلى الجهة الأخرى من الجبل لم أجد أى أثر للفتيات!! مشيت مئات الأمتار على الشاطئ دون أن أعثر لهن على أى أثر، وقبل أن أقرر العودة من حيث أتيت، لمحت على بعد بضعة عشرات من الأمتار جسمًا يتحرك! وكلما اقتربت منه ازداد يقينى أنه لفتاة، وكلما اقتربت أكثر زاد اعتقادى بأن الفتاة لا ترتدى أية ملابس على الإطلاق، يا للهول إنها الحقيقة!! ماذا سأفعل؟ هل أعود من حيث أتيت، ويا دار ما دخلك شر؟ أم أستأنف السير؟

عند تلك اللحظة شعرت الفتاة بوجودى ورفعت رأسها، فقررت أن أستأنف السير وكأنها غير موجودة! وهذا هو ما شجعها على البقاء على ما هى عليه! إلا أن دقات قلبى عندما كنت أعبر أمامها غير ملتفت إليها كانت قد وصلت إلى حوالى مائة دقة فى الدقيقة! مشيت مائة متر أخرى ثم جلست على الرمال كأنى أتأمل البحر! خلعت

القميص وبقيت بالشورت، ثم بدأت فى ممارسة بعض أوضاع اليوجا، مثلا كالوقوف على الأكتاف. مرت حوالى ساعة ونحن على هذا الحال، وحدنا تمامًا على هذا الشاطئ المهجور، دون أن أحاول مجرد النظر إليها، أما هى فأنا أعتقد أنها كانت تراقبنى.

كنت أحمل معى كتابًا باللغة الإنجليزية هو كتاب (إرمان/رانكه Erman/Ranke) عن الحضارة المصرية القديمة، وهو مجلد ضخم من حوالى خمسمائة صفحة (طبعة دوفر)، ورق خفيف وبغلاف خفيف، ومليء بالصور والرسومات عن مصر القديمة، وكنت قد قرأت فيه حوالى سبعين صفحة، ولم تكن لغتى الإنجليزية تسمح باستيعاب كل ما قرأت، فكنت أضع علامات حمراء أسفل الكلمات الصعبة التى لا يستقيم فهم المعنى دون فهمها. قلت فى نفسى أتحجج بهذا الكتاب وأقترب من الفتاة، وفعلا قمت من مكانى، واضعًا قميصى على كتفى واقتربت منها، وكانت ما تزال كما هى، إلا أنها عندما رأتنى أقترب منها وأنوى الحديث إليها، سحبت منشفة غطت بها نفسها.

قلت: (صباح الخير، من أى جنسية أنت؟)

قالت: (أنا أسترالية)

قلت: (إذن فلغتك الأم هى الإنجليزية)

قالت: (نعم)

قلت وأنا أمد لها يدى بالكتاب: (هل يمكن أن تساعدينى فى معرفة معانى هذه الكلمات؟)

أمسكت بالكتاب وأخرجت نظارة طبية من حقيبتها، ونظرت أولا فى الصفحة المفتوح عليها الكتاب، ثم قلبت فى صفحاته وقالت: (يبدو أنه كتاب مسلى جدا، ما هى الكلمات التى لا تعرفها؟)

قلت (كل الكلمات التى أسفلها أو بجوارها علامات حمراء)

قالت: (كل هذا؟)

قلت: (فلتساعديني على قدر استطاعتك، أنا قد حضرت إلى هنا بهذا الكتاب ولكني نسيت إحضار القاموس).

بقيت مع ليز الأسترالية حوالى ساعتين، وجدنا خلالهما مرادفات لحوالى مائتى كلمة إنجليزية، وتصفحنا الكتاب كله لمشاهدة الصور والتى تكفلت أنا بشرحها والتعليق عليها، وحكيت لها كيف أننى كنت قد حصلت منذ شهر واحد فقط على ترخيص مزاولة مهنة إرشاد سياحى، ولكنى لم أكن قد بدأت بعد ممارسة هذه المهنة، لأننى كنت فى شرم الشيخ فقط بصفتى عازف جيتار باص مع فريق الموسيقى بنايت كلوب مارينا شرم.

كانت قد اطمأنت إلىّ بعض الشئ، وذكرت أنها قبل أن تغادر المكان تريد أن تغطس فى مياه البحر، فقامت ووقفت أمامى بدون أى ملابس، واندفعت نحو البحر. لم أعرف ماذا أفعل؟ بقيت جالسًا فى مكانى، عادت إلىّ وهى تلمع تحت الشمس، ويتساقط الماء من جسمها وشعرها، وبدأت تنشف جسمها وأنا أحول بصرى عنها، ارتدت الشورت والتى شيرت، وسرنا سويًا حوالى كيلو متر حتى فندق مارينا شرم، فودعتها حيث إنه الفندق الذى أقيم فيه، أما هى فقد استأنفت المشى بامتداد الشاطئ الخالى تمامًا من أى مبانٍ، وذلك لتعود إلى صديقها الذى كان ينتظرها فى المخيم فى نهاية خليج نعمة. كان هذا فى يناير ١٩٨٥ وذلك قبل أن تقتحم المكان جحافل البشر.

شانغهاى

(١)

كنا قد أخذنا الطائرة من مدينة بكين عاصمة الصين، إلى مدينة (هوانج زو) والتى تقع على بعد ساعتين طيران، أى حوالى ١٥٠٠ كم جنوب بكين، وقضينا فيها ليلة. وصباح اليوم التالى قمنا بعمل رحلة فى بحيرة جميلة، ثم زرنا أحد معابد بوذا، والذى وجدنا فيه العشرات من تماثيل ذلك الإله، مع آلهة أخرى، منحوتة فى صخور المكان، بطريقة فى منتهى العبقرية، وذلك بالإضافة إلى مئات التماثيل الصغيرة المنحوتة بالنقش البارز، وتمثل الحجاج الذين كانوا يأتون إلى هذا المعبد، بكل وسائل مواصلاتهم المتاحة فى ذلك الوقت من القرن الخامس قبل الميلاد، مثل الجِمال والخيول، وكذلك الحُجّاج القادمين على أقدامهم. ذكرت بعض زوجات الأطباء المشاركات فى الرحلة أنهن كن يفضلن لو أنهن كن قد ذهبن إلى مركز تجارى Shopping center، أو مول Mall، لشراء المزيد من البضائع الصينية لزوم هدايا الأهل والأصدقاء، وذلك بدلا من الذهاب إلى ذلك المعبد البوذى. وقد نطقن كلمة بوذى كما لو كانت نوعًا من السباب. (كل يوم معبد – كل يوم معبد) التى جاءت على ألسنتهن جميعًا ذكرتنى بـ (كل يوم فول – كل يوم فول).

تناولنا طعام الغداء فى مطعم إسلامى فى مدينة هوانج زو، وكلمة إسلامى تكون مكتوبة على مدخل هذا النوع من المطاعم بحروف عربية كبيرة، وذلك معناه أن الوجبات التى يقدمها هذا النوع من

المطاعم خالية من لحم الخنزير ومن الخمور، وقد لاحظت أن هذا النوع من المطاعم منتشر، وهذا دليل على وجود عدد كبير من المسلمين. بعد تناول طعام الغداء انطلقنا بالأتوبيس فى رحلة طولها حوالى مائتى كيلو متر، وتستغرق ثلاث ساعات للوصول إلى شانغهاى، من الرابعة مساءً إلى السابعة مساءً، أى قبل غروب الشمس، الذى كان فى ذلك الوقت من العام فى ذلك المكان من الصين فى حوالى الثامنة مساءً. كنا نقطع الطريق من مدينة هوانج زو إلى مدينة شانغهاى عبر مناطق من الريف الصينى. مررنا بعشرات القرى الصغيرة إلى يمين الطريق وإلى يساره، شاهدنا خلال مرورنا مئات المساكن وآلاف الأفدنة من الأرض الزراعية، وكان عدد البشر الذين شاهدناهم خلال تلك الرحلة قليلا جدًا، فالحقول شبه خالية من البشر، رغم أن الشمس لم تكن قد غربت بعد، ثم كانت المساكن كذلك مغلقة وخالية من السكان، فازدادت أمامنا علامات الاستفهام.

ولم أعرف الإجابة على تساؤلاتنا (أين ذهب الناس؟)، إلا من خلال برامج شاهدتها فى القناة الفرنسية الفضائية مؤخرًا عن تلك المنطقة من الصين، حيث عرفت أن الاقتصاد الصينى هو أسرع معدل نمو سنوى فى العالم الآن، وأن الخبراء الاقتصاديين يعتقدون أن الصين ستكون أقوى دولة فى العالم خلال عشرين عامًا، وبعضهم يقول خلال عشر سنوات فقط، وعرفت كذلك أن مدينة شانغهاى هى رأس ذلك التنين الصينى، وهى المدينة التى ستصبح نيويورك القرن الواحد والعشرين، عاصمة للرأسمالية العالمية. وعرفت كذلك أن شانغهاى أصبحت فعلا أغلى مدينة فى الصين، حتى أغلى من هونج كونج، وأن أسعار فنادقها قد وصلت إلى مستوى أسعار فنادق عواصم أوروبا، وأنه لم تعد هناك أى قيمة إلا للمال، ولم تعد هناك أى قيم لا شيوعية ولا دينية ولا حتى أخلاقية، فكل شئ يمكن بيعه وشراؤه .

(٢)

هى مدينة مبهرة بكل المقاييس، وهى مدينة تتسع بمعدلات خرافية، يكفى أن نعرف أنه قد تم بناء ألف وخمسمائة برج سكنى وإدارى، يتعدى ارتفاعها المائتى متر، وذلك خلال العشر سنوات الأخيرة (١٩٩٤- ٢٠٠٤)، أى بمعدل مائة وخمسين برجًا فى العام الواحد، أى تقريبًا برج جديد كل يومين، وأنهم لبناء هذه الأبراج قد احتاجوا إلى ثلاثة ملايين عامل بناء، وأن هؤلاء العمال كانوا قد قدموا إلى شانغهاى من المناطق الريفية المحيطة بها، هجروا الزراعة وحضروا إلى المدينة للعمل كعمال بناء، وذلك بعد حضور دورات تدريبية لإعادة تأهيلهم، وذلك لأن أجر عامل البناء هو ثلاثة أضعاف أجر العامل الزراعى، أى أن الإغراء المالى من الصعب مقاومته. (يجب أن أتصل بالدكتور عصام العريان فى نقابة الأطباء لأقدم له هذه الإجابة على تساؤلاته أثناء تلك الرحلة بالأتوبيس، فقد كان هو الذى يمسك الميكرفون أثناء الطريق معلقًا ومتسائلا: أين ذهب الناس؟) .

ولكنى بدأت ألتفت أكثر وأكثر إلى ما يذكر عن الصين فى القنوات الفضائية المختلفة، وإلى ما يكتب عنها فى الجرائد والمجلات:

أولا: وجدت أن هناك ما يدل على أن مسألة خلو الأراضى الزراعية بين هوانج زو وشانغهاى من الفلاحين، قد لا تكون فقط بسبب هجرة هؤلاء العمال الإرادية إلى شانغهاى، فبعض المقالات المنشورة تدل على أن الفساد الإدارى قد يكون هو السبب. فقد تمكن عدد من كبار الرءوس فى الدولة من طرد الفلاحين من المناطق المحيطة بالمدن الكبيرة، وذلك على أساس أن هذه الأراضى ستكتسب يومًا ما قيمة كبيرة، عندما تمتد هذه المدن إليها، وأنه يفضل التخلص من الفلاحين الآن، طالما كان هذا سهلا حاليًا، بدلا من الانتظار غير مضمون العواقب.

ثانيًا: تذكرت ما سبق أن شاهدته ذات مرة فى باريس، عند الاحتفال بذكرى ربيع بكين (مايو ١٩٨٩)، عندما تصدى شباب الجامعات فى بكين، لدبابات النظام، فى قلب ميدان السلام السماوى، وذلك رغبة من هذا الشباب فى الحصول على حق حرية التعبير عن سخط هذا الشباب من هذا الفساد الإدارى. كنت قد شهدت معرضًا للصورة الفوتوغرافية التى تبين بوضوح تعذيب النظام الصينى للطلاب المعارضين له.

ثالثًا: تذكرت كيف أننا فى محطة قطارات هونج كونج، والتى وصل إليها مبكرًا جزء من مجموعة نقابة أطباء القاهرة، وكنا مضطرين إلى انتظار الباقين. خرجت أدور حول المكان فوجدت مظاهرة صامتة، تحمل لوحات لصور فوتوغرافية مكبرة، لرجال ونساء كانوا قد أحرقوا أنفسهم فى الميادين العامة فى المدن الصينية، فقط لمحاولة لفت أنظار الرأى العام العالمى إلى حقيقة أن الحريات السياسية فى الصين مكبوتة، وأن حريات التعبير بشكل عام محظورة، وأن العالم منبهر بتقدم الصين الاقتصادي، دون الالتفات إلى كبت النظام لحريات الشعب. كانت هذه هى العبارات المكتوبة بالإنجليزية أسفل الصور التى حملها المتظاهرون.

رابعًا: قرأت كذلك مؤخرًا كيف أن أحد التقارير الصينية المقدمة من أطراف الدولة إلى الحكومة المركزية، تقول أن الهوة الشاسعة، والتى تزداد اتساعًا، بين أغنياء المدن الكبرى، وفقراء المناطق النائية الريفية، تنذر بثورة شعبية.

خامسًا: قرأت خلال صيف ٢٠٠٥ كتابًا صغيرًا بالفرنسية عنوانه (يوميات ماى ين – الحياة اليومية لتلميذة صينية)، وهو كتاب يصف حياة هذه التلميذة البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا، وتعيش فى أحد الأقاليم النائية، يعطيها والدها العامل الزراعى

يوان واحد كل يوم (يساوى حوالى ثمانين قرشًا مصريًا)، وذلك كمصروف يومى، وعليها بعد ذلك أن تختار بين أمرين: ١- إما أن تدفع نصف يوان للذهاب إلى المدرسة فى سيارة النقل العام، ثم تدفع نصف يوان آخر للعودة من المدرسة، وتبقى بعد ذلك بدون أى طعام حتى المساء. أو ٢- أن تستيقظ فى الرابعة صباحًا كل يوم، لتسير لمدة حوالى ثلاث ساعات للوصول إلى المدرسة التى تقع على بعد حوالى عشرة كيلو مترات، وبذلك تستطيع أن تشترى طعامًا فى منتصف النهار، أثناء الفسحة المدرسية، وهذا الطعام عبارة عن طبق أرز بصلصة الطماطم، ثمنه يوان واحد، وعلينا ألا ننسى أنها بعد ذلك، وفى نهاية النهار، ستكون مضطرة إلى العودة مشيًا على الأقدام إلى منزلها لمدة ثلاث ساعات أخرى. كما ترون فإن الاختيار صعب، إلا أن الوالد لا يستطيع أن يدفع إلا يوانًا واحدًا لابنته ماى ين.